الدول غير السيادية في البحر الكاريبي (جزر كايمان) أنموذجًا
١٩٤٥-١٩٧٦م

أ. م. د. اشواق سالم إبراهيم
جامعة سامراء- كلية التربية

الملخص

جاء هذا البحث لدراسة الأقاليم التي لم تنل الاستقلال ولم تتمتع بالحكم الذاتي، وكانت جزر كايمان أنموذجًا لتلك الدول التي بقيت تحت سيطرة التاج البريطاني، ولم تحصل على الحكم الذاتي أو الاستقلال، فضلاً عن أنّها رغبت بالبداية في التخلص من سيطرة جامايكا والبقاء مستعمرة تحت سيطرة التاج البريطاني حتى عام ١٩٦٢، وعلى الرغم من ظهور الأحزاب السياسية فيها إلا أنّها كانت خاضعةً بشكلٍ كبيرةٍ إلى النخبة التجارية التي كانت أغلبها من البيض الإنكليز وكانت هذه النخبة مرتبطةً بشكلٍ كبيرٍ مع بريطانيا، ومسيطرةً على الأحوال الاقتصادية ممّا أسهم بشكلٍ فاعلٍ في إبقاء تلك الجزر تحت السيادة البريطانية .

الكلمات المفتاحية: بريطانيا، جزر كايمان، الدول غير السيادية، الكومنولث.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 9, Issue 29, Aug 2022
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Non-sovereign countries in the Caribbean (Cayman Islands) as a model 1945-1976

Ashwaq Salim Ibrahim
University of Samarra- College of Education

Abstract

This research came in order to study the territories that did not gain independence and did not enjoy self-governance, and the Cayman Islands was a model for those countries that remained under the control of the British Crown, did not obtain self-government and did not obtain independence, and they initially wanted to get rid of the control of Jamaica and remain a colony under the control of Jamaica. The control of the British crown in 1962, despite the emergence of political parties in it, but it was largely subject to the commercial elite, which was mostly white English and this elite was closely linked with Britain, and in control of the economic and political conditions.

Keywords: Britain, Cayman Islands, Non-sovereign Countries, Commonwealth.

المقدمة:

تمثّل الأقاليم غير المستقلة أكثر من نصف الدول في منطقة البحر الكاريبي، ومنها: جزر كايمان "**Cayman Island**" ، و فيرجن "Virgin Islands" البريطانية، وجزر مارتينيك، وجوادلوب "Martinique and Guadeloupe Islands"، وكشفت عمليات التحرر التي سادت العالم على إنهاء الاستعمار في تلك الدول غير السيادية، وعن سماتٍ مشتركةٍ في التجربة العالمية لإنهاء الاستعمار في القرن العشرين، وأنَّ السياسات الاستعمارية المختلفة، والنخب المحلية، مثل: السياسة الحزبية المحلية التي شكلت الحركات التحررية كنتائج للسياسة في الأراضي البريطانية والفرنسية، أثّرت بشكلٍ كبيرٍ في إنهاء الاستعمار، وبالتطورات التي جرت في الأراضي غير المستقلة، إذ لم تعد مستعمرات رسمية، ومع ذلك لم تصبح دولًا تقليديةً مستقلةً ذات سيادةٍ، وتتحدى هذه الأراضي تصوراتنا المسبقة حول إنهاء الاستعمار وما يسمّى بمدّة ما بعد الاستعمار، ويعدّ المنظور التاريخي الأطول أمرًا حاسمًا لفهم حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية في منطقة البحر الكاريبي، إذ كانت جزر كايمان وجزر أخرى تابعة لبريطانيا تدار في لندن بشكلٍ مباشرٍ، وقد أنشأ البريطانيون مستعمراتٍ في كايمان وجزر فيرجن البريطانية في القرن السابع عشر، فضلاً عن أنَّ تلك الجزر كانت توصف بأنَّها "خارجةٌ عن القانون"؛ لكثرة القرصنة، وتدمير صيد السمك، وعلى الرغم من ذلك وصف تقريرٌ صدر عام ١٧٩٧ جزر كايمان بأنَّها "يسكنها عددٌ قليلٌ من الرجال الخارجين على القانون... والموجودين فيها هم صيادو السمك"، وركّز البحث على المدة من ١٩٤٥ إلى ١٩٧٦، والتي تغطي الحقبة الرئيسة لإنهاء الاستعمار في القرن العشرين، وكثيرًا ما يُنظر إلى نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) على أنَّها بداية إنهاء الاستعمار للعديد من مناطق العالم، إذ شجعت الحرب شعوب البحر الكاريبي على إعادة النظر في علاقتهم مع الدول الاستعمارية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وغيرت المستعمرات جميعًا وضعها السياسي، بدءًا من جزر الأنتيل الفرنسية والتقسيم الإقليمي في عام ١٩٤٦، واستمرت إلى نهاية السبعينات إذ حصلت بعض المستعمرات على استقلالها، ولم تحصل المستعمرات الأخرى على الاستقلال أو حتى الحكم الذاتي، وتمّ تقسيم البحث على ثلاثة أقسام: أولاً: نبذة تاريخية عن الجزيرة من حيث الموقع الجغرافي لجزر كايمان والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبداية الاستعمار، وثانيًا: أوضاع جزر كايمان في القرن العشرين من حيث أوضاعها في الحرب العالمية الأولى والثانية وبعدها، وثالثًا: بداية إنهاء الاستعمار دون الاستقلال، والخاتمة والاستنتاجات.

أولاً: نبذة تاريخية عن جزر كايمان

١-الموقع الجغرافي

جزر كيمَن أو جزر كايمان هي جزء من الأراضي البريطانية وراء البحار تقع غرب البحر الكاريبي، وتتكون من كايمان العظمى أو كايمان ليتل، كايمان براك، وكايمان الصغرى أو كايمان كراند، وتقع جنوب كوبا وشمال غرب جامايكا والتي تكون جزءًا من جزر الانتيل الكبرى وتقع في البحر الكاريبي إلى الجنوب من كوبا وغرب هايتي وجزيرة هيسبانيولا، وشكلت الجزر الثلاث من رؤوسٍ مرجانيةٍ كبيرةٍ، وتعدّ جزر كايمان جزءًا من سلسلة جبال كايمان ريدج، وهي سلسلة جبال مغمورة تمتد من سييرا مايسترا في كوبا إلى خليج هندوراس تتكون من الحجر الجيري الكثيف، ولاسيما في الجزء الشرقي من كايمان براك، والذي يرتفع إلى ٤٣ مترًا (١٤١ قدمًا) فوق مستوى سطح البحر، وهي أعلى نقطة في الجزر، أما تضاريسها فهي قاعدةٌ منخفضةٌ من الحجر الجيري محاطةٌ بالشعاب المرجانية، ويكون غطاؤها النباتي استوائيًا ومتنوعًا ولاسيما للجزر الصغيرة الموجودة في جراند كايمان، باستثناء انخفاض مساحة المستنقعات، والبحيرات، والبرك الداخلية(١).

وتتبع مجموعة جزر كايمان لبريطانيا وتقع على بعد ٣٢٠ كم شمال غربي جامايكا في البحر الكاريبي، وتغطي الجزر الثلاث مساحة نحو ٢٥٩ كم٢، ويبلغ عدد سكانها ٣٠،٠٠٠ نسمةٍ، وعاصمتها جورج تاون وتقع في الكايمان الكبرى، وقد أتاحت الضرائب المخفضة في الجزر فرصة إنشاء العديد من الشركات التي تدير أعمالاً تجاريةً في جزر كايمان وتسهم تلك الأعمال بنصيبٍ وافرٍ في اقتصاديات الجزر وإنتاجها الزراعي الضعيف، والذي ترتب عليه استيراد المواد الغذائية(٢).

ولم يتم العثور على أيّ دليلٍ أثريّ على وجود السكان الأصليين في جزر كايمان، لذا يُعتقد أنَّ كريستوفر كولومبوس (١٤٥١-١٥٠٦) اكتشفهما في ١٠ أيار ١٥٠٣، من رحلته الأخيرة إلى العالم الجديد الأمريكيتين؛ بسبب رياحٍ هبّت على سفينته جعلتها خارج مسارها في رحلته الرابعة والأخيرة إلى العالم الجديد، وكان كولومبوس في طريقه إلى جزيرة هيسبانيولا (موطن هايتي وجمهورية الدومينيكان) حينما اندفعت سفينته غربًا نحو جزرٍ صغيرةٍ ومنخفضةٍ مليئةٍ بالسلاحف، وأطلق عليها اسم "لاس تورتوجاس"؛ نظرًا للعدد الكبير من السلاحف الموجودة في الجزر (والتي سرعان ما تمّ اصطيادها حتى أوشكت على الانقراض)، وكانت الجزيرتان اللتان شوهدتا هما: كايمان براك و كايمان الصغرى، وتعني: التمساح أو السحالي الكبيرة، إلا أنَّه بحلول عام ١٥٣٠، تمّ استعمال اسم Caimanas وهو مشتقٌ من الكلمة الهندية الكاريبية

وتعني: التمساح البحري، ولم تستعمر تلك الجزر بعد اكتشافها بل كانت موطنًا للقراصنة، والفارين، والبحارة الغرقى، فضلاً عن بعض المستوطنين من أعراقٍ مختلفةٍ، بما في ذلك القراصنة، والبحارة الغرقى، والفارين(٣).

إنَّ المستوطنين الذين استوطنوا ليتل كايمان في عام ١٦٥٨ كانوا فارين من جيش القائد الإنكليزي أوليفر كروميل (١٥٩٩-١٦٦٨) في جامايكا، ويُعتقد أيضًا أنَّ البعض قد يكونوا قراصنة، ويعود أقدم سجلٍ سكانيّ لجزر كايمان إلى عام ١٧٧٤ حينما قُدّر أنَّ إجمالي مَنْ يعيش في الجزر ١٧٦ شخصًا من الأفارقة والأوروبيين الذين غرقت سفنهم في الجزر أو جاءوا على متن سفنٍ من جامايكا، ويكشف التاريخ أنَّ العبيد الأفارقة جاءوا إلى جزر كايمان مع أسيادهم الجامايكيين، وبذلك أصبح المجتمع في تلك الجزر خليطًا من الأوربيين والأفارقة، الذين أصبحوا أسياد البحار، بعد أنْ أبحروا فعليًا عبر العالم حول جزر كايمان، وصنعوا سفنهم الخاصة التي سافروا فيها إلى موانئ بعيدة في سعيهم لكسب الرزق لعائلاتهم، ومن أشهر اسماء العائلات التي استوطنتها هي: (بودن، بوش، كو، كونولي، إيدن، فوستر، جينيت، إيبانكس)(٤).

٢-البداية الاستعمارية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية:

خضعت الجزر في بادئ الامر بعد أنْ تمّ اكتشافها لنفوذ إسبانيا حينما طالب ملكها "فرناندو الثاني "Ferrando II" (١٤٥٢-١٥١٦) بحيازتها عام ١٥٠٣ وبقيت هذه الحال حتى عام ١٦٧٠، وأقام سكان جامايكا لسنواتٍ مستوطناتٍ في جزر كايمان، ثم سيطرت بريطانيا رسميًا على جزر كايمان بعد انتصارها على اسبانيا، جنبًا إلى جنب مع جامايكا، نتيجة معاهدة مدريد(٥) عام ١٦٧٠، وبدأ استعمار جزر كايمان بشكلٍ جديّ في ثلاثينيات القرن الثامن عشر، حينما قدّم جلالة ملك بريطانيا جورج الثاني(٦) "Georg II" عددًا من المنح الملكية للأرض، وتم تقديم المنح الملكية إلى عددٍ من الأوربيين في عام ١٧٣١، واعتمدت جزر كايمان على الصيد إذ بنى الصيادون من جامايكا مساكن مؤقتة في موسم السلاحف، إلا أنَّ الاستيطان الدائم لم يحدث حتى عام ١٧٣٤، ويعود السكان الناطقون باللغة الإنجليزية في الجزر إلى ثلاثينيات القرن الثامن عشر مع الاستيطان، بعد أول منحةٍ ملكيةٍ للأرض من حاكم جامايكا عام ١٧٣٤، وامتهن بعض المستوطنين مهنة قطع الأخشاب ومن ثم استبدلوها بزراعة القطن، لكن الزراعة لم تكن منظمةً بشكلٍ جيدٍ ولاسيما زراعة السكر والتبغ، وعلى الرغم من ذلك غادر بعض المزارعين البيض ليستقروا في أماكن أكثر جدوى من الناحية الاقتصادية مثل: جزر الخليج قبالة سواحل هندوراس، إلا أنَّ العديد منهم بقوا في جزر كايمان(٧).

وشكّل التجار أيضًا قطاعًا من النخبة في مجتمع كايمان، وكان الاختلاف الرئيس هو أنَّ غالبية هذه العائلات التجارية في كايمان كانت من البيض، وسيطروا على جزءٍ كبيرٍ من الحياة الاقتصادية والسياسية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من خلال سيطرتهم ونفوذهم على طرق المواصلات والسلع واتصالهم بالعالم الخارجي، فكان الهيكل الاقتصادي للمجتمع رأسيًا: بين الفلاحين والصيادين الذين يشكلون الأغلبية، والنخبة التجارية الصغيرة المهيمنة اقتصاديًا(٨).

أما العبودية فكانت أقلّ أهميةً وأقلّ قسوةً من أيّ مكانٍ آخر في منطقة البحر الكاريبي، إلا أنّه لم يستهان بها؛ لأنَّ العبودية كانت جزءًا أساسًا من الزراعة والصناعات البحرية، ولها دورٌ في خلق المجتمع والثقافة الكايمانية(٩).

وشهد القرن التاسع عشر اهتمام حكام جامايكا بالجزر بشكلٍ أكبر، وتمّ إنشاء أول هيئةٍ تشريعيةٍ لجزيرة كايمان، وافتتحت جزر كايمان مجلسًا منتخبًا في عام ١٨٣٢، عُرف باسم جمعية القضاة، ثم ألغيت العبودية في الجزر في عام ١٨٣٥ ممّا أدى إلى حدوث اضطراباتٍ اجتماعيةٍ في كايمان، على الرغم من أنَّها كانت تحت سيطرة جامايكا، إلا أنَّها لم تعترف بتبعيتها رسميًا، حتى عام ١٨٦٣ بإعلانها أنَّ جزر كايمان وإدارتها تابعة رسميًا لجامايكا، وعيّن حاكم جامايكا قاضيًا في كايمان وكان أغلبهم من نخبة التجار الذين سيطروا أيضًا على السياسة في هذه الجزر(١٠).

ثانيًا: أوضاع جزر كايمان في القرن العشرين:

خرجت جزر كايمان من عزلتها في بداية القرن العشرين، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨)، تمّ استعمال مهارات شعب جزر كايمان بحارةً للخدمة في البحرية التجارية البريطانية، وشهدت الثلاثينيات العديد من التطورات، وقد أسهم إعصار عام ١٩٣٢ المروع الذي ضرب الجزر، في انضمام الكثير من أفرادها إلى محمية ترينيداد البحرية الملكية، وقاموا بدورياتٍ في منطقة البحر الكاريبي، وخدموا مرةً أخرى في البحرية وأسهم ثلث رجال كايمان في المجهود الحربي، وهو أعلى معدلٍ في أيّ دولةٍ حليفةٍ(١١).

وتعدّ التجارب في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥) ضروريةً لفهم القرارات السياسية بعد الحرب لهذه المناطق، ولاسيما في كيفية تغيير الحرب لعلاقتها مع القوى الاستعمارية والولايات المتحدة الأمريكية، إذ عانت العديد من المستعمرات الكاريبية من محنةٍ اقتصاديةٍ وعزلةٍ في الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك كانت جزر كايمان البريطانية محميةً إلى حدّ ما من نقص الغذاء والموارد، وتمركز خفر السواحل الأمريكي في القاعدة البحرية الأمريكية

في جراند كايمان، فضلاً عن أنَّ العديد من الرجال الكايمانيين وجدوا عملاً مع القوات البحرية المتحالفة أو في منطقة القناة؛ نظرًا لسمعتهم بأنّهم أفضل البحارة، وقد أدى ذلك إلى تفاعلٍ كبيرٍ بين السكان المحليين والأمريكيين، ممّا أتاح لهم الفرصة للتعرف على الثقافة الأمريكية، على الرغم من ظهور بعض حالات الصراع بين السكان والأمريكان، إلا أنَّ العلاقات كانت وديةً بشكلٍ عامٍ(١٢).

وتطوع العديد من الكايمانيين عند اندلاع الحرب إلى جانب بريطانيا، إذ شجعت بريطانيا التجنيد بإعطائه أهمية دينية: فقد أصدروا دعواتٍ لحمل السلاح في الكنيسة الرئيسة في جورج تاون وقدموا الحرب على أنَّها صراعٌ مقدسٌ لتقديم خدماتهم لملكهم لأجل سلامة وشرف ورفاهية الإمبراطورية، ومن الواضح أنَّ خطابات الكنيسة هذه أثرت كثيرًا على المتطوعين؛ لأنَّ الديانة السائدة في جزر كايمان هي المسيحية من المذهب البروتستانتي، وكانت نسبة معتنقي هذا المذهب أكثر من المذهب الكاثوليكي، وكذلك تمكنت بريطانيا بشكلٍ عامٍ من الحفاظ على الولاء الوطني بين القوات الكايمانية بتعزيز الشعور بالفخر الثقافي بمهاراتهم البحرية المتفوقة ممّا عزّز لديهم روح الانتماء والدفاع عن بريطانيا(١٣).

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية طالبت الجزر بإقامة اتحادٍ سمّي بـ (اتحاد جزر الهند الغربية) (١٩٥٨-١٩٦٢)، وبدأت المؤتمرات والاستشارات حول إمكانية إنشاء الاتحاد بعد الحرب مباشرةً، وفقًا للأوضاع السياسية لجزر كايمان والجزر الأخرى، ودفعت المناقشات حول قضية الاتحاد سكان الجزر إلى التفكير في وضعهم السياسي، وعلاقتهم ببريطانيا، وفي الوقت الذي كانت فيه جامايكا تتجه نحو الاستقلال كانت جزر كايمان قد اتخذت خطوةً لتصبح مستعمرةً تحت التاج البريطاني، ومن المثير للاهتمام أنَّه في الوقت الذي كانت فيه العديد من المستعمرات البريطانية تتجه نحو الاستقلال، واختارت هذه الجزر بدلاً عن ذلك ترسيخ علاقتها مع بريطانيا، وعلى ما يبدو أنَّ الموقف الذي سيتفاوضون من خلاله على أيّ تغييراتٍ أخرى في وضعهم السياسي في العقود الآتية سيكون عاملاً رئيسًا في إنهاء الاستعمار من دون الاستقلال(١٤).

وقبل الانضمام إلى اتحاد جزر الهند الغربية، كان لدى الكايمانيين مخاوف إذ كانوا يرغبون في الحفاظ على المنفعة الاقتصادية المتأتية عن ارتباطهم ببريطانيا، وكانوا قلقين بشأن فقدان السلطات التشريعية لهيأةٍ حاكمةٍ أخرى في منطقة البحر الكاريبي، فضلاً عن أنَّهم كانوا يطمحون إلى الاحتفاظ بهويتهم المنفصلة فيما يتعلق بالجزر الأخرى، وكانت جزر كايمان مزدهرةً نسبيًا في الخمسينيات من القرن الماضي، وهو وضعٌ كانوا حريصين عليه(١٥).

وكانت النخبة التجارية في كايمان حريصةً على الاحتفاظ بالسيطرة على السياسة والاقتصاد الكايماني، إلا أنَّها انضمت إلى اتحاد جزر الهند الغربية في عام ١٩٥٨، مع موقفٍ غامضٍ بوصفها تابعةً لجامايكا، وفي عام ١٩٦٢، اختارت جامايكا الاستقلال عن التاج البريطاني وأصبحت من دول الكومنولث[١٦]"Commonwealth" المستقلة، واختارت جزر كايمان بدلاً من أنْ تبقى مستعمرةً تابعةً للتاج البريطاني، وعدلت دستورها على غرار دستور جزر فيرجن البريطانية التي اختارت التاج البريطاني أيضًا، وكانت توجد معارضة شديدة لاعتماد كايمان الحكم الذاتي تحت وصاية جامايكا، واستعمل التجار موقعهم المؤثر في المجتمع للحصول على عريضةٍ موقعةٍ من أكثر من ثلاثة آلافٍ من جزر كايمان لصالح وضع جزر كايمان تحت سيطرة تاج بريطانيا[١٧].

وعلى العموم تمتلك بريطانيا ١٤ منطقة فيما وراء البحار منتشرةً حول العالم، وتعامل كلّ منطقةٍ بصلاحياتٍ مختلفةٍ بحسب القانون ولمعظمها سلطات تشريعية خاصة ودرجة من الاستقلالية لا تتعدى في الغالب صلاحيات الأقسام الموجودة في بريطانيا، وتشمل هذه الاستقلالية وجود ميزانيةٍ مستقلةٍ لكلّ منها، وتحتفظ بدرجاتٍ مختلفةٍ من المسؤولية تجاه هذه المناطق تتفاوت من تحكمٍ سياسيّ كاملٍ إلى وجودٍ صوريّ، ويشمل هذا التفاوت المسؤوليات الرئيسة لبريطانيا تجاه هذه المناطق والتي تنحصر في السياسة الخارجية، والحدود الدولية، والأمن، والدفاع[١٨].

ثالثًا: انتهاء الاستعمار للجزر.

١- المطالبة بالدستور الجديد.

طالب السياسيون في جزر كايمان بدستورٍ جديدٍ، والذي تمّ منحه في عام ١٩٥٩، الصادر عن المجلس ١٩٥٩ (القانون الدولي ١٩٥٩ رقم ٨٦٣) وينصّ على أنْ يكون حاكم جامايكا بحكم منصبه حاكم جزر كايمان، مع سلطاتٍ تشريعيةٍ محدودةٍ تُمنح في الوقت ذاته للحاكم بمشورة وموافقة الجمعية التشريعية لجزيرة كايمان من جهةٍ، والمجلس التشريعي لجامايكا من جهةٍ أخرى، مع الاحتفاظ بالسلطة لصاحبة الجلالة في المجلس لتعديل أو تغيير الأمر، ولأول مرةٍ تمّ انتخاب أعضاء الجمعية بالاقتراع العام للراشدين، وكانت تلك نسبةً كبيرةً، إذ نجح المدافعون عن حقوق المرأة الذين كانوا حريصين على التصويت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على سنّ الدستور الجديد، مع ذلك لم يحل غموض مكانة جزر كايمان في الاتحاد إلى أنْ تمّ إلغاءه في عام ١٩٦٢[١٩].

أما العلاقة المتغيرة بين كايمان وجامايكا فكانت عنصرًا مهمًا آخر في الخطاب السياسي الكايماني، إذ تغيرت علاقة الجزر وتطورت من الأربعينيات إلى الستينيات، إذ أصبح الكايمانيون الذين كانوا يعتمدون في السابق على جامايكا في العديد من الخدمات الأساسية والموظفون أكثر عدائيةً، وتفاقمت هذه المشاعر؛ بسبب شعبية الاشتراكية في جامايكا، إذ إنَّ النخبة الكايمانية لم تحبذ فكرة التبعية لجامايكا المستقلة والاشتراكية؛ لأنَّ نهج طبقة التجار الكايمانيين تجاه جامايكا والاتحاد بشكلٍ كبيرٍ متأثرٌ بالتحيز العنصري، وكانوا يخشون فقدان قبضتهم الخانقة في السياسة والاقتصاد الكايماني إذا تمّ السماح للهنود الغربيين السود من الجزر الأخرى بذلك، ولاسيما الهجرة من الجزر الاخرى إلى كايمان(٢٠).

وعلى هذا الاساس تمّ إلغاء الدستور بموجب القسم ٥ من قانون جزر الهند الغربية لعام ١٩٦٢، ومنحت الجزر دستورًا جديدًا في عام ١٩٧٢، حوى أحكامًا تتعلق بمنصب الحاكم والمجلس التنفيذي والسلطة التشريعي، وألزم دستور عام ١٩٧٢ الحاكم بشكلٍ عامٍ، بممارسة مهامه وفقًا لمشورة المجلس التنفيذي، إذ نصّ على أنْ يكون مسؤولاً وفقًا لتقديره عن الدفاع، والشؤون الخارجية والداخلية، والأمن، والشرطة وبعض الأمور المتعلقة بالخدمة العامة، وتمّ وضع مخصصاتٍ لتكليف أعضاء المجلس التنفيذي بمسؤولية الأعمال أو الإدارات الحكومية، وتعديل تكوين الجمعية التشريعية بإلغاء ثلاثة مقاعد للأعضاء المرشحين(٢١).

٢- المطالبة بالحكم الذاتي.

تأثرت منطقة البحر الكاريبي بالحرب الباردة "Cold War"(٢٢)، وكان تأثير الثورة الكوبية"The Cuban Revolution"(٢٣) كبيرًا على جزر كايمان، إلا أنَّها لم تكن العامل الوحيد في تفسير إنهاء استعمار جزر كايمان ووضعها غير المستقل، إذ كان لنفوذ النخبة التجارية واحتكارها مجال السياسة والاقتصاد وتأييدهم الواضح للحكم البريطاني الأثر الأكبر على السياسة المحلية وتقاربهم الواضح للحكم البريطاني، فكان لهما نفوذٌ أكبر على السياسة المحلية، فإنَّ قرب كوبا من جزر كايمان التي تبعد عنها ١٨٥ ميلاً فقط، ذو أهميةٍ كبيرةٍ عندما يتعلق الأمر بالمقاربات الكايمانية للشيوعية تاريخيًا، وكان لجزيرة كايمان روابط قوية بكوبا، إذ راقب البريطانيون تهديد النشاط الشيوعي في جزر كايمان؛ بسبب موقعها الاستراتيجي القريب جدًا من كوبا، وظلت بريطانيا قلقةً بشأن الطائرات الكوبية التي حملت لاجئين هبطت في كايمان، إذ استقبلت جزر كايمان لاجئين كوبيين لمدة عقدين بعد الثورة، حتى وجد بعض الكايمانيين أنفسهم عالقين في كوبا ويكافحون للعودة إلى جزر كايمان، إنَّ تجمع الكوبيين واستمرارهم في الوصول

إلى كايمان، تسبب في الصراع مع الحكومة البريطانية، ممّا أثار الخوف والقلق بشدةٍ لدى السياسيين والمسؤولين عبر منطقة البحر الكاريبي، بحدوث انتفاضةٍ مسلحةٍ مماثلةٍ في مستعمرةٍ فرنسيةٍ أو بريطانيةٍ [٢٤].

إنَّ الطبيعة المحافظة للمجتمع الكايماني والاضطرابات التي حالت دون تطور أيّ مثقفٍ يساريّ كبيرٍ تعني أنَّ الكايمانيين بدوا أقلّ الشعوب التي تشارك في الحركات المناهضة للاستعمار ونشاط العالم الثالث، وحتى افتقارهم إلى صحيفةٍ محليةٍ قبل عام ١٩٥٦، ممّا جعلهم يفتقرون إلى قيادةٍ بديلةٍ خارج إطار نخبة التجار، إلى أنْ ظهر أورموند بانتون[٢٥] "Ormond Panton"، أحد مؤسسي الحزب الوطني الديمقراطي كان أول حزبٍ سياسيّ ناجحٍ في جزر كايمان بعد المحاولة السابقة لحزب طليعة كايمان الذي شكّل في عام ١٩٥٨، وكان مناهضًا للاستعمار في منطقة البحر الكاريبي، وقد أصبح أورموند بانتون أول كايماني يفوز في الانتخابات زعيمًا للحزب، إذ فاز الحزب بأغلبية المقاعد في انتخابات عام ١٩٦٢، إلا أنَّه فيما بعد أخذ الحزب يفقد شعبيته إلى أنْ تمّ حلّه بعد وقتٍ قصيرٍ من خسارته في انتخابات عام ١٩٦٨[٢٦].

ودافع أورموند بانتون عن كايمان، وكان الأصغر سنًا من بين المندوبين الكايمانيين الذين اشتركوا في المؤتمرات التي عقدت آنذاك لمناقشة مسألة انضمام الجزر إلى اتحاد جزر الهند الغربية، إلا أنَّه اصطدم مع حاكم كايمان البريطاني الذي رفع عليه قضية، لكن أورموند بانتون استطاع الفوز عليه بمحكمتين، باتصاله بمحامين جامايكيين كانوا في المجموعة النشطة سياسيًا[٢٧].

وكان الممثل البريطاني، سواء المسؤول أو الحاكم، يتمتع بسلطةٍ كبيرةٍ في الأراضي البريطانية، على الرغم من الإصلاح الدستوري التدريجي، ويمكن للحاكم البريطاني التدخل في القضايا المحلية، وإلغاء الجمعية التشريعية، واستعمال حقّ النقض ضد أيّ قراراتٍ محليةٍ، وحينما فاز أورموند بانتون والحزب الوطني الديمقراطي بالأغلبية في الانتخابات والمطالبة بالحكم الذاتي، فإنَّ المفوض البريطاني جاك روز[٢٨] "Jack Rose"، الذي كان لديه عداءٌ مستمرٌ مع بانتون ويعامل على أنَّه غريبٌ؛ بسبب عائلته من السود، وتعمّد منع محاولات الحكم الذاتي ومنع الحزب الوطني من اكتساب السلطة في المجلس التنفيذي، وروّج المفوض جاك روز لفكرة أنَّ الكايمانيين لديهم خياران فقط عند مغادرة اتحاد جزر الهند الغربية وهما: الحكم الذاتي الداخلي في ظلّ جامايكا المستقلة، أو وضعها تحت حكم التاج البريطاني، على الرغم من وجود عدّة

خياراتٍ مختلفةٍ متاحةٍ للتفاوض بشأنها، إلا أنَّ جاك روز ادّعى أنه ليس هناك بديلٌ ثالثٌ، وكان لهذا تأثيرٌ كبيرٌ على تقييد النقاش حول الحكم الذاتي وتضييق الخيارات المتاحة(٢٩).

ومنع جاك روز أورموند بانتون من الحصول على مقعدٍ في المجلس التنفيذي بعد انتخاب الحزب الوطني الديمقراطي، بصفته المفوض، وكان جاك روز مسؤولاً عن اختيار الثلاثة الآخرين أعضاء الجمعية التشريعية، إذ كان لابدَّ من استشارة بانتون بشأن الترشيحات، إلا أنَّه اختار ثلاثة أعضاء جددٍ كانوا جميعًا يعارضون بانتون بشدةٍ، ونتيجةً لذلك حينما يتعلق الأمر بانتخاب أعضاء المجلس التنفيذي، لم يتم اختيار بانتون، وضمنت تلك الخطوة التكتيكية التي قام بها المفوض جاك روز أنَّ بانتون والحزب الوطني الديمقراطي على الرغم من حصولهما على أكبر عددٍ من المقاعد في الانتخابات، لم يكن لديهما القوة السياسية اللازمة لتنفيذ أيّ سياساتٍ من شأنها أنْ تقود كايمان نحو الحكم الذاتي، وكانت نقطة تحولٍ للأغلبية السوداء في الحكومة وحتى الوصول إلى الاستقلال في جزر كايمان(٣٠).

وعلى الرغم من أنَّ التغييرات السياسية في الستينيات والعدد المتزايد من المقيمين الأجانب الأثرياء في كايمان قد خفف إلى حدّ ما من احتكار طبقة التجار، إلا أنَّه بحلول نهاية السبعينيات ظلوا شخصيات مهيمنة في اقتصاد كايمان، والمجتمع والساحة السياسية(٣١).

وردًا على إنشاء الحزب الوطني الديمقراطي، أسّس السياسيون التجاريون البارزون الحزب الديمقراطي المسيحي، وكان هدف الحزب الوحيد هو معارضة الحزب الوطني، وشدّد على صلاتها بالكنيسة؛ لتعزيز شرعيتها واحترامها، فضلاً عن أنَّه عارض بشدةٍ الحكم الذاتي الداخلي، ودعم العلاقة الدستورية مع بريطانيا، وعارض الحزب بشدةٍ أيّ تغييرٍ في قوانين الضرائب، وادّعى أنَّ أيّ تحركٍ نحو مزيدٍ من الحكم الذاتي سيجبر الكايمانيين على دفع ضرائب أعلى، وعارض إدخال أيّة أنظمةٍ في جزر كايمان، مبررًا أنَّ كايمان ليس لديها عدد كافٍ من الموظفين العموميين المدربين، ممّا يؤدي إلى حكومةٍ غير مستقرةٍ(٣٢).

وبعد فشل السياسة الحزبية في الستينيات، كان الكايمانيون قلقين بشأن العدد المتزايد من العمال الأجانب، وبشأن تطوير الأراضي أثارت هذه القضايا مدةً من الاضطرابات في نهاية الستينيات استمرت حتى السبعينيات، فتخلى السياسيون الكايمانيون عن محاولات تشكيل أحزاب، وتحولوا بدلاً من ذلك إلى "فرقٍ" كوسيلةٍ للتنظيم مرةً أخرى، فأصبحت مسألة الحكم الذاتي مركزيةً لظهور هذه الظاهرة السياسية الجديدة، وكانت "الفرق" السياسية في مجموعاتٍ أكثر مرونةً من المرشحين الذين انضموا معًا قبل الانتخابات، وفي انتخابات عام ١٩٧٢، شاركت فرقٌ غير رسميةٍ نسبيًا من المرشحين "بأهدافٍ مشتركةٍ" في الانتخابات معًا، وظهر جيم

بودن[٣٣]"Jim Bodden"، وانتخب السيد عضوًا في الجمعية التشريعية في عام ١٩٧٢، وفاز بمقعدٍ عن مدينة بودن تاون، وشغل فترتين كعضوٍ في المجلس التنفيذي، وفي ١٩٧٥ بدأ السخط يدبّ لدى الشعب ونظمت مظاهرة احتجاجًا على خطط التنمية للمجلس التنفيذي، وقد نزل الكايمانيون إلى الشوارع للاحتجاج عندما كانوا غير راضين عن الحكومة المحلية، بدلاً من توجيه استيائهم إلى الحكم البريطاني أو في محاولةٍ للضغط لأجل الاستقلال، وكانت الاحتجاجات تستهدف الممثلين المحليين[٣٤].

وعندما تعلق الأمر بانتخابات عام ١٩٧٦، رأى جيم بودين فرصةً لإسقاط المجموعة القائمة في السلطة في المجلس التنفيذي جنبًا إلى جنبٍ مع زملائه في الجمعية التشريعية، وهم مجموعةٌ من السياسيين مع بيانٍ للتغيير الدستوري، وإنهاء القضايا السياسية المفترض أنَّها ابتليت بالمجلس التنفيذي بشكلٍ حاسمٍ، واستعمل جيم بودين فريق الوحدة الصحيفة المحلية لصالحهم، في حين واصل أعضاء المجلس التنفيذي الحملات التقليدية لاجتماعات دار البلدية، وحققت حملة فريق الوحدة نجاحًا كبيرًا وحصلوا على الأغلبية في الجمعية التشريعية، إلا أنَّه بمجرد وصول فريق الوحدة إلى السلطة، تراجعوا عن الوعد بالتغيير الدستوري، وأعلنوا تنصلهم من أيّ خططٍ سواء للتقدم الدستوري أو لتغيير السياسات في الصناعة المالية الخارجية[٣٥].

ويتضح أنَّ فشل السياسات الحزبية أدى إلى إبقاء كايمان على وضعها غير المستقل، إذ تسببت النخبة التجارية في إعاقة التقدم في العملية السياسية، على الرغم من أنّها عُدّت نقطة التحول هذه حاسمةً لفهم عملية إنهاء الاستعمار في جزر كايمان، إلا أنّ جزر كايمان بقيت إقليمًا تحت السيطرة البريطانية ولم تتمتع بحقّ الحكم الذاتي، فضلاً عن أنَّ العدد المتزايد من المقيمين الأجانب الأثرياء في كايمان قد أدى إلى تخفيف احتكار طبقة التجار، بحلول نهاية السبعينيات، إلا أنَّهم ظلوا شخصيات مهيمنة في اقتصاد جزر كايمان.

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- كانت الأقاليم التابعة للاستعمار البريطاني عبر منطقة البحر الكاريبي مصحوبًا بثقافةٍ بريطانيةٍ، ممّا شجّع شعوب منطقة البحر الكاريبي على الارتباط ببريطانيا والإمبراطورية والنظام الملكي، ولم تكن جزر كايمان مختلفةً عن بقية الجزر فإنَّ زيارات أعضاء العائلة المالكة كانت لها أحداثٌ ضخمةٌ تمّ تصميمها لتوليد الحماس والإثارة من السكان المحليين.

٢- في نهاية السبعينيات، تغيرت السياسة البريطانية تجاه ما تبقّى من أقاليم ما وراء البحار، وكان الخيار المفضل للسكان المحليين هو الاستقلال في حالة جزر كايمان، وكانت بريطانيا على درايةٍ بالهيمنة غير الديمقراطية لنخبة التجار البيض في السياسة المحلية، إلا أنَّها كانت غير راغبةٍ في تحديها، كذلك ارتباط تلك النخبة مع بريطانيا ارتباطًا وثيقًا.

٣- بسبب مواقعها المعزولة داخل الإمبراطورية البريطانية، عانت جزر كايمان من إهمالٍ كبيرٍ ونقصٍ في التمويل من العاصمة، وكان هذا واضحًا بشكلٍ خاصّ في النصف الأول من القرن العشرين؛ لأنَّ هذه الأراضي بوصفها تبعيات لمستعمراتٍ أخرى، كانت أكثر انعزالًا عن العاصمة من المستعمرات الكاريبية الأخرى، إلا أنَّها أصبحت أكثر ازدهارًا بمجرد تطورٍ قطاعيّ السياحة والخدمات المالية، والذي حدث في وقتٍ سابقٍ في جزر كايمان مقارنةً بجزرٍ أخرى .

٤- وفق التقارير الاستعمارية من مديري وحكام جزر كايمان إلى أيّ مدى كانت مفاهيم العرق عاملاً في النهج والسياسة الاستعمارية، تمّ التعامل مع أيّ شخصٍ أثار قضية عدم المساواة العرقية أو العنصرية في الأراضي البريطانية بشكّ، وعد أنَّه من المحتمل أنْ يكون مخربًا.

٥- استعملت بريطانيا مناهج وسياسات غير منتظمةٍ أو متسقةٍ تجاه أقاليم ما وراء البحار، والأهم من ذلك لم تسمح الدولة الاستعمارية بمناقشةٍ مفتوحةٍ حول الاستقلال، على الرغم من أنَّ سكان الجزر مارسوا كلّ الضغوط الفاعلة في القرارات السياسية والطريقة التي تطورت بها عملية إنهاء الاستعمار.

٦- ركزت حكومة جزر كايمان على تعزيز اقتصاد الإقليم بالسياحة والتمويل الخارجي، وكلاهما انتشر منذ السبعينيات.

الهوامش

References

(1) Roger C. Smith, The Maritime Heritage of the Cayman Islands ,University Press of Florida, 1949, PP.1-7.
(2) Paris Permenter & John Bigley, The Cayman Islands, Windsor Books International, in the UK, 2001.
(3) David Wells, A Brief History of the Cayman Islands India, London,2005, PP.4-7.
(4) M. A. Brunt and J. E. Davie S, The Cayman Islands Natural History and Biogeography, Libra y of Congress Cataloging-in-Publication Data, 1994, PP.12-16.

(٥) معاهدة مدريد: عقدت عام ١٦٧٠ بين بريطانيا، واسبانيا، وفرنسا، وهولندا والتي تنازلت اسبانيا عن حقوقها في جامايكا، وليسود الهدوء في المنطقة بعدما قامت الدول الاستعمارية في القضاء على القراصنة. للمزيد من التفاصيل ينظر: ياتسيك ماخوفسكي، تاريخ القراصنة في العالم، ترجمة: انور محمد إبراهيم، مكتبة المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٦، ص٣٥.

(٦) جورج الثاني: (١٦٨٣-١٧٦٠)، جورج أغسطس هو ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا، وأمير هانوفر، وجاء لأول مرة إلى لندن عام ١٧١٤ كأمير جديد لويلز، تولى العرش في عام ١٧٢٧وحتى وفاته، كان جورج آخر ملك بريطاني يُولد خارج بريطانيا العظمى، إذ وُلد ونشأ في شمال ألمانيا، وآخر ملك يقود جيشًا في المعركة فأصبحت البلاد منذ عهده يحكمها ساسة البرلمان (ملكية دستورية)، كان قصير المزاج وغير مثقف، ولكن في فترة حكمه التي دامت ثلاثة وعشرين عامًا، ازدهرت المملكة ازدهاراً كبيرًا اقتصاديًا، وعسكريًا، وثقافيًا. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Andrew C. Thompson ,George II, King and Elector (The English Monarchs Series), London, 2013.

(7) Edward Corbet's report and census of 1802 on the Cayman Islands ,Cayman Free Press ,Vol I, 1992,PP.1-2.
(8) Uif Hannerz, Caymanian Politics: Structure and Style in a Changing Island Society, Stockholm, University of Stockholm, 1974,PP.40-50.
(9) The National Archives, Colonial Office Annual Report on the Cayman Islands, 1946, CO 1071/93.
(10) West India Committee, The History and Heritage of the Cayman Islands, London, 2018, PP.3-4; Grace Carrington, Op. Cit., PP.26-28.
(11) Paris Permenter & John Bigley, the Cayman Islands Alive, England,1999,P.20.
(12) Ibid., P. 28.
(13) Grace Carrington ,Politics, Nationalism and Assimilation in French and British Caribbean Territories,1945-1980,Doctoral Thesis, University of London,2019,P.57..
(14) Ibid., PP.68-69.
(15) A. J. A. Douglas, 'The Cayman Islands', The Geographical Journal 95, no. 2 1940, P.127.

(١٦) الكومنولث: رابطة دولية بين بريطانيا ومستعمراتها السابقة التي استقلت عنها وظلت محافظة على ولائها للتاج البريطاني، تأسست عام ١٩٣١م عندما أعطى قانون ويستمنستر الحكم الذاتي في أستراليا، وكندا،

ونيوزيلندا، وجنوب إفريقيا، ليس لديها ميثاق أو معاهدة أو دستور بل تستند على الرغبة في التعاون والتشاور والتبادل بين الأعضاء، مكونة من ٥٣ دولة ذات سيادة، في عام ١٩٤٩م اختارت الهند أنْ تصبح جمهورية، ومنذ ذلك التاريخ ولد الكومنولث الحديث. للمزيد من التفاصيل ينظر:

J. Denis Derbyshire and Ian Derbyshire, Encyclopedia of World Political Systems, London, 2000, Vol. 2.P.883.

(17) Christopher Williams, 'Points of Departure, Shifting raditionalist Caymanian Understandings of Jamaica and Jamaicans, Journal of Critical Southern Studies 2, no. 1 (2014), PP. 41–42;

(١٨) مشتاق طالب حسين الخفاجي، الاوضاع السياسية والاقتصادية الداخلية في بريطانيا ١٩٦٩-١٩٧٤، مجلة كلية التربية الاساسية والانسانية، جامعة بابل، العدد ٣٠، ٢٠١٦، ص ١٧٦.

(19) Grace Carrington, Op. Cit.,P.75.

(20) The National Archives, Constitutional development in the Cayman Islands', 1956, CO 1031/1411.

(21) Camille Stoll Davey, The Cayman Islands (Constitution) Order in Council 1959 (SI 1959 No. 863) Provided for the Governor of Jamaica to be ex-officio the Governo, 2020, P.6.

(٢٢) الحرب الباردة: مصطلح يُستعمل لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وحلفائهم منذ منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات، عُدت صراعًا محتومًا بين الأيديولوجيات المتعارضة بين الطرفين، ووصفت بانها باردة؛ لانّ الطرفين لم يتواجهوا بصورة مباشرة، وانما استعملت الأدوات العسكرية بأطراف ثالثة. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Stephen J. Lee and Sean Lang, The Cold War, London, 1997, PP. 3-4.

(٢٣) الثورة الكوبية: هي ثورة مسلحة قادها فيدال كاسترو عام ١٩٥٩، ضد الحكومة الاستبدادية المدعومة من الولايات المتحدة الامريكية، بزعامة الزعيم الكوبي باتيستا، لتحل محلها حكومته دولة اشتراكية ثورية. للمزيد من التفاصيل ينظر: كوثر عباس الربيعي، الاستراتيجية الامريكية تجاه دول امريكا، اللاتينية، دراسة حالة العلاقات الأمريكية الكوبية، سلسلة دراسات استراتيجية، المركز العراقي للدراسات، بغداد، ٢٠١٠، ص٤٥.

(24) Grace Carrington, Op. Cit., PP.97-99.

(٢٥) أورموند بانتون: (١٩٢٠-١٩٩٢)، سياسي ومحامي كايماني، احد مؤسسي لحزب الوطني الديمقراطي، عمل السيد أورموند أيضًا كمدير لشركة طيران كايمان المحدودة بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٨٤، وكان أيضًا أحد أوائل أعضاء الروتاريين المعتمدين في جراند كايمان، تم تكريمه من قبل الملكة إليزابيث الثانية في عام ١٩٨٤، وأصبح ضابطًا في وسام الإمبراطورية البريطانية لمساهماته في المجتمع . للمزيد من التفاصيل ينظر:

David Martins, A special son: The biography of Ormond Panton, Pansons Limited, 1994.

(26) Grace Carrington, Op. Cit.,P.114.

(27) Ibid., PP.114-115.

(٢٨) جاك روز: (١٩١٧-٢٠٠٩)، طيار بريطاني مقاتل في معارك بريطانيا، رائدٌ في استعمال الصواريخ التي تم إطلاقها من القاذفات المقاتلة. واحد من عدد قليل جدًا من الطيارين الذين نجوا بعد أنْ عملوا في كل من

الأيام الأولى والأخيرة من الحرب، أصبح لاحقًا إداريًا متميزًا في مكتب الاستعمار البريطاني، شغل منصب مدير جزر كايمان من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٣.للمزيد من التفاصيل ينظر:

Kenneth G. Wynn, Men of The Battle of Britain: A Biographical Dictionary of the Few, London,2015,P.199.

(29) Grace Carrington, Op. Cit., P.122.

(30) The National Archives ,Summary of the Report of Commission of Enquiry into the Anegada and Wickham's Cay Agreements',1970, FCO 44/454.

(31) The National Archives ,F. A. Stockdale, 'Notes of interviews with Mr. Panton, Acting Commissioner', 30 August 1941, CO 318/450 ,P.15.

(32) The National Archives ,Monthly Intelligence Report, Cayman Islands, November 1962, CO 1031/3733.

(٣٣) جيم بودن: جيمس (جيم) مانواه بودين (١٩٣٠–١٩٨٨)، سياسي كايماني، عمل بائعًا في الولايات المتحدة وحصل على الجنسية الأمريكية، في الستينيات عاد إلى جزر كايمان، أسس شركة عقارية، تبرع جيم أيضًا بأرض في نيولاندز لبناء الحرم الجامعي للكلية الدولية في جزيرة كايمان، انتخب السيد جيم عضوًا في الجمعية التشريعية في عام ١٩٧٢، وفاز بمقعد عن مدينة بودن تاون، وشغل فترتين عضوًا في المجلس التنفيذي بصفته وزيرًا مسؤولاً عن السياحة والطيران، وكان له دور أساس في تأسيس خطوط كايمان الجوية وبناء مطار أوينز روبرتس الدولي، أعيد انتخابه للهيأة التشريعية في عام ١٩٨٤. للمزيد من التفاصيل ينظر:

James Henderson, The Cayman Islands, Cadogan Books, 1996, PP.238-239.

(34) Grace Carrington, Op. Cit., P.239.

(35) Northwester Profile: Jim Bodden, The Northwester, Septembre 1974, PP.6-12.